

يوم

من أيام

عزت السعودى مصر العظيمة

للإسماعيلية فى الخارج قارس البرد .. والمطر لا تنقطع ضرباته الرنيبة عن زجاج نوافذ الحجرة ولكن الليل داخل الحجرة دافئ وعذب ومرح .. تماما مثل حديث الرجل صاحب الدار التى جمعنا قبل يومين بلا سابق معاد ..

والرجل هو المهندس مشهور أحمد مشهور الذى يقود الآن أكبر عملية تطوير لقناة السويس .. تقرب - دون ما مبالغة فى القول - الى حد خلق قناة جديدة تماما .. وفاجات الرجل الجالس فى دفة عباءة بنية من الصوف بقولى : أين ذهب ديليسيس ؟

وكان الرجل على مستوى المفاجأة وكانت اجابته الذكية

- بقصد التمثال وليس الرجل ؟

قلت : الاثنين معا .

قال : لنبدأ بالتمثال .. لقد حطمه اهل بورسعيد أيام العدوان الثلاثى على مصر وهوشعور وطنى جارف لا محل لمناقشته .. ولكننا فى هدوء جمعنا أشلاء التمثال .. وعهدنا بها الى مرمم متوق به اعاده كما كان تماما .. وهو قائم داخل داره التى تحولت الى متحف غير بعيد من هنا .

قلت : والرجل ؟

قال بعد لحظة تفكير : هو جزء من تاريخ مصر .. لا جدال .. هو صاحب فكرة شق القناة .. وهو مهندسها وهو منفذا .. صحيح انه شقها بالسخره ..

وصحيح - كما يقول المؤرخون الانجليز - ان نجس ١٢٠ الف مصرى قد راخوا فى تراب القناة .. وصحيح



مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

أيضا أنه أوقع مصر في حبال الديون .. بالخداع والمكر .. الا انه رغم ذلك كله فانه قد أعاد مصر من حيث لا يدري . فنحن الان نملك أعظم قناة في العالم كله ، تمنحنا كل سنة نحو ١٢٠٠ مليون دولار .. ونقدراً مناساً للتاريخ وحده .. فقد أعدنا تمثال ديلسيس الى حاله الاول .. وسوف يعود ديلسيس الى مكانه الاول في مدخل قناة السويس . متى ؟ - ليس الان على الاقل .

● صباح الاسماعيليه
هو الآخر بلا شمس

.. باره ممطر ..
والحجرة التي نقف

فيها باردة هي الاخرى خالية من خلق الله لا أحد فيها يتحدث .. لا أحد يتكلم .. فان صاحب الادراكها لا وجود له الان .. انه مجرد صفحة من التاريخ .. ولكن كل شيء هنا داخل دار ديلسيس يكاد ينطق بما كان .. وبما جرى قبل اكثر من قرن من الزمان ؟ .

هذه هي مركبة ديلسيس ومكبته وسريه الذي كان ينسجم عليه ويحلم ويخطط .. هنا عاش الساحر المنصر العبقري كما وصفه المؤرخ الانجليزي جون مارلو .. هنا عاش النصاب كما وصفه بالمستون .. هنا عاش رجل يتميز بطاقة بدنية تجعله لا يعرف التعب .. انه رجل شديد الغرور كثير الخداع والكلام هنا لتفصل بريطانيا في مصر أيامها سير كوكهوم !

ولندع ديلسيس نفسه يروي قصة اقناعه للخديو محمد سعيد بشق قناة السويس واحداث القصة تدور في الصحراء الغربية في رحلة مع الخديو وكان ديلسيس أيامها في الخمسين من عمره :

● ● بدأ الخيم يستيقظ عنسد مشرق الشمس .. وارنديت ملابسى وخرجت استقبال اليوم الجديد . كانت اشعة الشمس نضوء أفق المشرق اما المغرب فكان لا يزال مظلما ملبدا بالغيوم . وفجأة شاهدت قوس قزح ساطع اللون يمتد من المشرق الى المغرب ، ودق قلبي بشدة ، كانت هذه علامة على أن مشروعى سيحوز القبول ، وكان تسدوم الخديو ايذانا بالاستيقاظ من اطلالى ، قام الخديو وحيسانى ، وحين استأذنته فى العودة أردت أن أبرهن على أن الجواد الذى خصصه لى بجيد القفز ، ومن



مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

ثم قفزت به أحد الحوائط في طريقي الى خيمتي . وسر هذا العمل الخدبو وجعل حاشيته تنثني عليه ، وهنأني القادة الذين تناولوا طعام الإفطار معي ، وقالوا ان شجاعتي قد زادتهم نقة بي ..

وفي الخامسة مساء ، امنظمت سهوة جوادى عاندا الى خيمة الخدبو ، مرة اخرى قافزا من فوق الحائط . وكان الخدبو في حالة طيبة ، فشد على يدي وقادني الى مقعد مجاور لمقعه . كنا وحدنا رغم انني كنت من باب الخيمة ارى غروب الشمس الذي انارني شروقها في الصباح . وحين قررت ان افأخه في الموضوع شعرت بالسكينة والقوة ، وكانت تفاصيل المشروع واضحة في ذهني فنقلتها اليه بمنتهى الوضوح والقوة . وشرحت له المشروع دون الدخول في تفاصيل ، وسألته ان كانت له أسئلة ، وفعلا اثار عدة نقاط ، فشرحتها شرحا أقتعه ، واخيرا قال لي : انني مقتنع ، وأقبل مشروعك وخلال الرحلة سندرس معا وسائل اخراجه الى حيز التنفيذ ، وبممكن ان نعتمد على ..

ونجح ديليسيس في اقتناع الخدبو البدن السريع الغضب القبل بلا حدود على المذات في شق قناة السويس .. ونجح ايضا في خداعه بشروط اتفاقية القناة التي لا تمنع مصر الا ١٥ ٪ من دخلها على مدى ٩٩ عاما .

.....
عود الى الحجرة الدافئة - رغم [نوة] قاسم التي تلقى الإسماعيلية بالبرد والصقيع والمطر فانها نقيض بالحبوبة والفسكر في حضور مشهور أحمد مشهور .. رب الدار :

● ● لو ان ديليسيس صحا من رقدته اليوم وجاء بشهد معنا الافتتاح الثالث للقناة يوم الثلاثاء لقال بالحرف الواحد ليست هذه قناتي التي خفرتها .. انها قناة اخرى لا اعرف عنها شيئا ! ● ●

وديليسيس هنا محق تماما في كلامه فهذه القناة الجديدة التي يفتتحها السادات بعد غد أكبر ١١٢ مرة من قناة ديليسيس التي افتتحت للملاحة الدولية في عام ١٨٦٩ أي منذ ١٢١ سنة .

.....
.....
على أي حال فان افتتاح قناة السويس الاول يوم ١٧ نوفمبر عام ١٨٦٩ قبل ١٢١ سنة وبحضور ملوك الدنيا بأسرها كان للامانة والباريخ يوما من أيام مصر العظيمة